مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 450- 461

مقاربة دلالية في قصيدة ربيع الجزائر لـ "بدر شاكر السياب"

Badr Shakir al-Sayyab's Poem *Spring of Algeria*: A Semantic Approach

مختار قندوز[1]،*

[1] جامعة محمد الصديق بن يحي/ جيجل (الجزائر)، *mokhtar_guen@outlook.com*

تاريخ الإرسال: 2025/03/30 تاريخ القبول: 2025/11/27

الكلمات المفتاحية:
مقاربة؛
دلالة؛
بدر شاكر السياب؛
ربيع الجزائر؛
الأسلوبية؛

الملخص:

يهدف البحث إلى تحليل قصيدة "ربيع الجزائر" لبدر شاكر السياب دلالياً، لاستجلاء عمق التجربة الشعرية للثورة الجزائرية، ويعتمد منهجاً أسلوبياً نسقياً، يركز على البنى المعجمية (حقول الحزن، الثورة، الطبيعة) والبلاغية (كناية، استعارة، طباق).

وتتمحور التساؤلات حول توظيف الأدوات الفنية للتعبير عن التجربة الوجدانية، وقدرة شعر التفعيلة على نقل الدلالات، كما يبرز الانزياحات التصويرية والعلاقات الدلالية (ترادف، تضاد) في توليد المعنى.

Keywords:
Approach,
significance,
Al-Sayyab,
Spring of Algeria,
Stylistics,

ABSTRACT:

The study analyzes Badr Shakir al-Sayyab's poem "Spring of Algeria" semantically, elucidating the poetic experience of the Algerian Revolution.
It employs a systemic stylistic methodology, focusing on lexical structures (fields of sorrow, revolution, nature) and rhetorical devices (metonymy, metaphor, antithesis).
Central questions address the deployment of artistic tools for expressing emotional experience and free verse's capacity for semantic conveyance.
It highlights imagistic deviations and semantic relations (synonymy, antonymy) in meaning generation.

* مختار قندوز.

1.المقدّمة:

جسدت الثورة الجزائرية مشهدا تاريخيا ناصعا من مسيرة الشعب الجزائري، روّى عطش كل إنسان مسلوب الحرية، وعاشق للكفاح من أجل العزة والكرامة، هذا المشهد الذي عايشه الشعراء العرب وجدانيا، فصوروا هذه الثورة انطلاقا من هذه التجربة الوجدانية التي تعد إشكالية حقيقية وضعت صدق التجربة الشعرية على المحك، كونها تعول على أدوات الشاعر في نقل الواقع المعيش بتفاصيله. لذلك جاء موضوع البحث "**قصيدة "ربيع الجزائر" لبدر شاكر السياب" مقاربة دلالية** مستجليا بعض مظاهر تلك التجربة انطلاقا من المقاربة الدلالية التي تجيب على جملة من التساؤلات الآتية:

– هل وفق الشاعر في توظيف الأدوات الفنية المناسبة للتعبير عن تجربته الوجدانية وتَمَثّل الواقع الثوري الجزائري؟

– هل استطاع القالب الجديد "شعر التفعيلة" نقل تلك المعاني والدلالات خاصة وأن الشاعر يعد رائدا لهذا القالب في الوطن العربي.

من خلال استقراء عناصر البحث تنظيرا وشرحا وفق المنهج الأسلوبي خاصة البنى المعجمية والبلاغية يطمح البحث إلى تتبع الظواهر الدلالية المعبرة عن الصدق الفني في تمظهراته الأسلوبية.

تكشف القراءة التحليلية لهذه القصيدة عن حضورٍ لافتٍ لجملةٍ من الخصائص الأسلوبية والإيحاءات الفنية، التي تعكس عمق التجربة اللغوية والثقافية لدى الشاعر. كما تُظهر القصيدة ملامح تطوّرٍ في بنية القصيدة العربية على المستويين الشكلي والفني، مما يجعلها جديرة بالدراسة في سياق التحولات الشعرية الحديثة.

2. المستوى المعجمي:

يعد المعجم الشعري من أبرز المحطات الأساسية في الدراسة الأسلوبية، كون الاهتمام بهذا الجانب يكشف للدارس مدى امتلاك الشاعر لناصية اللغة، فكلما ارتفع رصيده اللفظي زادت مقدرته على التعبير عن تلك الشحنات الغارقة في عمق العاطفة، ولذلك اتجهت الدراسة الأسلوبية إلى استجلاء الدلالات من خلال رصد معالم المعجم اللغوي لدى الشاعر.

إن المعجم اللغوي هو "ذلك الرصيد الفظي الذي يكون الخطاب الشعري لدي شاعر من الشعراء، والذي يتسم بالخصوصية أو الذاتية الناتجة عن قدرة المبدع على بث الطاقات الجديدة من هذه الألفاظ أو تلك مما يتضمنه خطابه الشعري".[1] فالمعجم الشعري هو أحد أهم السمات الأسلوبية التي تمنح التفرّد لشاعر دون غيره، فمخزون الشاعر اللغوي يعتبر سلوكا يعبر به عن طاقاته الإبداعية، أو بعبارة أخرى، إن ثقافة الشاعر هي ذلك الرصيد الذي يحوله الاستعمال إلى طاقات إبداعية غير محدودة الذلالة، وهو خلاصة فكر ينمو مع الزمن تصقله الأحداث المحيطة بالشاعر.

اهتمت الأسلوبية اهتماما بالغا بالمستوى الدلالي، وذلك من خلال رؤيتها العميقة للألفاظ التي تمثل الحقول الدلالية باعتبارها "مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقة دلالية وتشترك جميعا في التعبير عن معنى عام يعد قاسما مشتركا بينها جميعا مثل الكلمات الدالة على الألوان والكلمات الدالة على الآلات الزراعية والكلمات الدالة على

النبات، أو الكلمات الدالة على الأفكار"[2]، إن دراسة المعجم الشعري للشاعر يعين ويوجّه الدارس إلى تصوّر رؤية الشاعر غير المنفصلة عن العالم الذي نعيش فيه، والثقافة السائدة فيه، فهو من أبرز الظواهر الأسلوبية التي تقوم على تقفي أثر المفردات والألفاظ المتواترة والمكررة داخل النص الشعري، وهي تتعالق فيما بينها لتعطي حقلا دلاليا معينا يتميّز عن غيره من الحقول بتميّز مفرداته.

1.2 مضمون القصيدة: يوجه السياب رسالة تهنئة وسلام إلى الجزائر وشعبها بمناسبة انتزاع استقلالها من المستعمر الفرنسي، الذي ظل لأقرب من قرن ونصف ينهب خيراتها وثرواتها ويخرب بنيانها ويقتل شعبها ويبتم أطفالها، ولكثرة هذه المآسي، فقد كانت فرحته بهذا الاستقلال مزيجا بين قليل من الفرحة وكثير من الحزن، وبين قليل من الأمل وكثير من اليأس، كيف لا وقد كان لهذا الاستقلال ثمن باهظ من التضحيات بالنفس والنفيس، لقد أضحت الجزائر غداة الاستقلال أكواما من القبور بأعداد غير متناهية، وآلافا من الأرامل واليتامى والمشردين، وحتى الأرض لم تسلم من هول الدمار الذي خلفه المستعمر فقد أتى على الأخضر واليابس من خيرات البلاد.

على الرغم من هذا كله، فقد رمز الشاعر لهذا الاستقلال بالربيع بما يحمله هذا الفصل من تجدد وجمال وأزهار تملأ الطبيعة، إلا أن هذا المعنى لم يظهر في القصيدة، فقد طغت على الشاعر النزعة التشاؤمية وهذا ما جعله يتصور استقلال الجزائر مفرغا من معناه مثل الربيع الذي يأتي دون أن يخضرّ نباته أو تزهر حقوله أو يثمر شجره، لأنه لم يكن هناك بذر في فصل البذر ولا ريّ وقت السقي، بل كانت هناك قنابل وحرق لهذه الأرض فأصبحت الأرض بورا، فأنى للربيع أن يأتي؟ وهذا ما حير الشاعر في كيفية استقبال الجزائريين لهذا الاستقلال والمستعمر لم يترك لهم من موارد الحياة شيئا، وحتى الموارد البشرية فهي عبارة عن أعظم بالية نتيجة الجوع والفقر والحرمان الذي فرضه عليهم المستعمر، وما فطر قلب الشاعر أكثر هو صورة أولئك اليتامى وهم ينتظرون عودة آبائهم المجاهدين من ساحات المعارك، وأولئك النسوة اللاتي ينتظرن عودة أزواجهن وفي أيديهن شمعة أمل في مهب الريح، فأي ربيع هذا الذي تبكي فيه العيون بحرقة لفراق الأحبة، وأي استقلال هذا الذي يستفيق فيه الحزن، فلا أمل في عودة من فقد الحياة.

لقد استعان الشاعر بالرمز بدل الإفصاح المباشر عما يتوفر عليه الرمز الطبيعي من قدرة على الإيحاء وعلى استثارة وعي القارئ ودفعه إلى فك الرموز، ولهذا فإن عنوان القصيدة "ربيع الجزائر" يعد انزياحا أسلوبيا خطيرا يجذب المتلقي نحو الغوص بين سطور القصيدة.

2.2 الحقول الدلالية المهيمنة على القصيدة:

تخضع مفردات اللغة في مجموعها لمعنى عام تدور في فلكه يشكّل الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه هذه المفردات، والحقل الدلالي كما يعرفه "أولمان" "هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبّر عن مجال معين من الخبرة، وهو مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقات دلالية وتشترك جميعا في التعبير عن معنى عام يُعدّ عاملا مشتركا بينها جميعا مثل الكلمات الدالة على الألوان والكلمات الدالة على النبات...إلخ.

يعبّر هذا التعريف عن جوهر المقاربة الحقلية في الدلالة، التي تنظر إلى المعجم اللغوي بوصفه نظامًا من العلاقات لا مجموعة من المفردات المعزولة. فكلّ حقل دلالي يُبنى على مبدأ الاشتراك في المعنى العام والاختلاف في

الخصائص المميِّزة، وهو ما يسمح بتحديد القيم الدلالية للوحدات اللغوية داخل شبكة من التقابلات. كما يُبرز التعريف البعد الأنطولوجي والمعرفي للحقل، إذ يربط بين اللغة والخبرة الإنسانية، أي أنّ المعجم يعكس تصنيف الإنسان للعالم من حوله. ومن ثمّ، يمكن القول إنّ الحقول الدلالية تمثّل إحدى الأدوات الأساسية في التحليل اللساني والمعجمي، لأنها تكشف عن البنية المفهومية الكامنة وراء التنظيم اللغوي للخبرة.

ولكي نفهم معنى كلمة ما، يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا، وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلا دلاليا معينا والكشف عن صلة كل منها بالأخرى، وصلاتها بالمصطلح العام أو بالمعنى العام الذي تنضوي تحته هذه الكلمات. (...) ووفق هذه الحقول الدلالية تشكلت حديثا نظرية اهتمت بدراسة المستوى الدلالي للغة وتقوم على دراسة مفردات اللغة طبقا لما أودع الله العقل البشري من قدرة على تداعي المعاني وهي نظرية الحقول الدلالية التي ترتكز على مجموعة من المبادئ من أهمها:

-لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل؛

-لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين؛

-لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة؛

-استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.[3]

الجدول رقم01: أهم الحقول الدلالية في القصيدة:

حقل مفردات الحزن	حقل مفردات الثورة	حقل مفردات الطبيعة	حقل مفردات الموت	حقل مفردات الزمن	حقل مفردات الفرح
أرعش	الحديد	الربيع	الأعظم البالية	صبحك	يبشر
غضبى	القتلى	الريح	القبور	الفجر	سلاما
جراح	شهيد	الجبال	تحت الثرى	ليلا	ضاحكا
حزين	المجاهد	الدالية	يدفن	آخر الليل	هدأة
اللعنات	اللهيب	العناقيد	وغى	الصباح	هنية
العار	الدماء	الرمال	ردى	المساء	هتاف
غيظ	حميما	السحاب	أشلاء	الدجى	
النوى	اللظى	الثرى	قتلى	القرون	
العناء	الخراب	الغيث			
يفطر	نار تقعقع	أرض			
برود	الدماء	تزرع			
بكينا	اللهيب	ذاب			
تدمع العيون		روّى			

وتبكين		نافورة			

عبر هذا الإحصاء لأبرز الحقول المعجمية الدلالية المهيمنة على القصيدة نلاحظ تنوع هذه الحقول بين حقل ألفاظ الحرب، والطبيعة، والحزن، والفرح، والزمن والموت.

ورغم أن المقام هنا هو مقام فرح والمتمثل في التغني باستقلال الجزائر إلا أنه وعلى غير المتوقع نلاحظ سيطرة ألفاظ الحزن على المعجم اللغوي للشاعر (غضبى-جراح-حزين-غيظ-تبكين-تدمع-اليتامى-الثكالى-فراق-الخراب...الخ)، وهذا ما يوضح عظم حجم المآسي والأحزان التي صاحبت هذا الاستقلال نظير الثمن الباهظ الذي قدمه الشعب الجزائري إبان الثورة التي خاضها في سبيل نيل حريته، وجراء الاستنزاف اللامحدود لموارد الجزائر من طرف المستعمر الفرنسي، فكيف سيقوى الشعب الجزائري على النهوض، وكيف سيستثمر هذا الاستقلال؟

أما الحقل الثاني فهو حقل ألفاظ الثورة (شهيد-مجاهد-دماء-حديد-...الخ) وهذا ما يبرهن عن مدى شراسة الاستعمار ووحشيته في سبيل إخماد لهيب الثورة الجزائرية، هذه الألفاظ تبن كيف أحب الجزائري وطنه فآمن بالثورة وجاهد في سبيل تحريره حتى استشهد في ميدان الشرف فسالت دماؤه الزكية لتسقي تربة الجزائر الأبية، وكيف بطش المستعمر بيد من حديد وأحرق البلاد وقتل العباد فأوقع الخراب .

ثم يأتي حقل ألفاظ الطبيعة (الربيع-الريح-الجبال-الرمال-النجيع-الثرى-...الخ)، ويرتكز أسلوب الشاعر الفني على استنطاق ألفاظ الطبيعة على مذهب شعراء المدرسة الرومانسية الذين يستعملون رموز الطبيعة للتعبير عن مخبوءاتهم.

ثم يلي بعد ذلك حقل ألفاظ الموت (قبور-يدفن-قتلى-وغى-أشلاء-ردى-...الخ)، لا شك أن حضور ألفاظ الموت هو هو تعبير عن حجم التضحيات التي قدّمها الشعب الجزائري، حيث كان الموت وجها آخر للحياة الكريمة وعنوانا لها.

ثم يتبعه حقل ألفاظ الزمن مما يؤكد براعة الشاعر في نسج المعاني ورسم الأفكار في قالب شعري قصصي محكم السبك ولجعل القصيدة أكثر وضوحا، ولهذا فقد استعان بظروف الزمان (صبحك-الفجر-ليلا-الصباح-المساء-...الخ) التي تساعد على وضع أرضية للحدث القصصي لما للزمن من دلالات مهمة في مثل هذا الجو المشحون بالانتظار والترقب.

وأخيرا يأتي حقل ألفاظ الفرح (تبشر-ضاحكا-هدية-...الخ)، وعلى الرغم من أن استقلال الجزائر هو حدث فرح وسرور إلا أن ألفاظ هذا الحقل وردت محتشمة وكأن الشاعر يريد القول بأن هذا الاستقلال الذي نالته الجزائر لم يأت بلا ثمن فالحرية تؤخذ ولا تعطى، وأن التضحيات التي قدمها الجزائريون والنكبات التي عايشوها لم تترك لهم متسعا للفرح بهذا الاستقلال.

إن هذا كله يعكس نفسية الشاعر المتأزمة وهو يعيش إحساسا بالغربة والعزلة والمرض جعلت ألفاظ مشاعر الحزن عنده تطفو فوق مشاعر الفرحة، وهذا ما عبرت عنه الألفاظ التي اكتسبت دلالات خاصة داخل السياق الشعري، وتجلى ذلك في حشد الشاعر لكلمات تعبر عن حزنه جراء المأساة الإنسانية التي ألمت بالجزائريين لعقود

طويلة من الاستعمار والاستبداد، بيد أن هذه المأساة ستظل مستمرة حتى بعد الاستقلال، وقد جسد تلك الحالة المأساوية في صورة أم الصغار وهي تنتظر رجوع زوجها الذي اختاره القدر ليستشهد في ساحة الوغى، كما اعتصر قلب الشاعر لأولئك الأطفال الذين ينتظرون عودة آبائهم محملين بالهدايا ولكن هيهات فلا آباء عادوا ولا هدايا أحضروا لهؤلاء الأولاد غير هذا الاستقلال الممزوج بالدماء والأحزان، لكن عسى أن يكون هذا الاستقلال بشرى خير لغد ضاحك مشرق.

3. العلاقات بين المفردات داخل الحقول الدلالية:

تُعرَّف العلاقات بين المفردات داخل الحقول الدلالية بأنّها "الروابط التي تنسجها الوحدات المعجمية فيما بينها داخل نسق لغوي منظم، يعبّر عن تصوّر جماعي للعالم (...) إنّ معنى الكلمة لا يُفهم في عزلة، بل من خلال موقعها داخل الحقل الذي تنتمي إليه، أي من خلال شبكة العلاقات التي تربطها بغيرها من المفردات،

- **العلاقات الأفقية**، التي تربط المفردات ذات المستوى نفسه من التجريد مثل علاقات الترادف والتضاد والتقابل الثنائي، حيث يتحدد المعنى من خلال التباين والتقارب بين المفردات داخل الحقل الواحد.
- **العلاقات العمودية**، التي تعبّر عن التدرّج الهرمي بين المفاهيم، مثل علاقة التضمّن، وهي ما يجعل الحقل بنيةً تراتبية تتدرّج فيها المفاهيم من العام إلى الخاص"[4].

ومن العلاقات الدلالية المتوفرة في هذه القصيدة نجد:

1.3 علاقة الترادف: جمعت علاقة الترادف بين كلمتي:

" مأوى–أرض" في السطر الثاني من القصيدة: "ومأوى اليتامى وأرض القبور"، فكلتا الكلمتين تعبران عن الملجأ والملاذ الذي يعيش فيه الانسان.

"النوى–العناء" في السطر الثلاثين من القصيدة: "لعل المجاهد بعد انطفاء اللهيب وبعد النوى والعناء"، وفيهما تعبير عن المصاعب والمعاناة.

"تصغي–ترهف سمعا" في السطر الواحد والأربعين: "سوى الدرب قفر المدى، وهي تصغي وترهف سمعا"، فكلتا الكلمتين تدلان على الاستماع الجيد والاصغاء.

"تدمع–تبكين" في السطر السادس والأربعين من القصيدة: "وها أنت تدمع فيك العيون، وتبكين قتلاك"، فكلتا الكلمتين تدلان على الحزن العميق الذي تصاحبه الدموع.

"الثكالى–الأيامى" في السطر الواحد والخمسين من القصيدة: "سلاما بلاد الثكالى، بلاد الأيامى"، فكلتا الكلمتين تدلان على مرارة فقدان الأحباب من زوج أو ولد أو أي قريب .

والملاحظ في جميع هذه الكلمات جاءت مترادفة بحسب السياق الذي أوردها فيه الشاعر.

2.3 علاقة التضاد: جمعت علاقة التضاد بين كلمتي:

"صبحك–ليلا" في السطر الثامن: "وما عاد صبحك نارا تقعقع غضبى وتزرع ليلا."

"نامت–استفاق" في السطر الثامن والأربعين: "نامت وغى فاستفاق."

جمعت علاقة الجزء بالكل بين كلمتي:

"الغيث–السحاب" في السطر الثالث: "أتى الغيث وانحل عقد السحاب."

"تدمع–العيون" في السطر السادس والأربعين: "وها أنت تدمع فيك العيون."

لقد تجلّت القيمة الفنية والأسلوبية للحقول المعجمية في قصيدة "ربيع الجزائر" لبدر شاكر السيّاب، من خلال ما أحدثته من انسجام دلالي بين المفردات التي تنتمي إلى حقل واحد، إذ أسهم هذا الترابط في بناء شبكة من العلاقات المعنوية التي تعمّق البنية الدلالية للنص وتكشف عن خصوصيته الأسلوبية ..

ومن هنا يظهر حسن تحكم الشاعر في ناصية اللغة وكفاءته في التوظيف الدلالي للمفردات المناسبة والتي عكست مكنوناته النفسية والروحية وأسلوبه الفني المتفرد.

4. المستوى البلاغي

لعل من بين السمات الأسلوبية التي تميزت بها قصيدة ربيع الجزائر للسياب هي تجاوز المعاني التقريرية والتوجه نحو التعابير الثابتة والمألوفة، وذلك من خلال استخدام صيغ مجازية جمالية تعرف بالانزياح الذي يعد "خرقا للقواعد حينا ولجوءا إلى ما ندر من الصيغ حينا آخر".[5]

من خلال استقراء صور القصيدة تبين أن الشاعر وظف تقنية الانزياح التصويري بشكل كبير فجاءت القصيدة حافلة بالصور الشعرية.

1.4 الانزياحات والتشكيل الدلالي:

2.4 الكناية : الكناية فن من فنون التعبير البياني، وهي من أهم الأساليب التي يلجأ إليها الأدباء لما تحققه من غايات بلاغية وأسرار فنية، وهي "كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما"[6].

فالكناية الغاية منها إعمال العقل لأن المعنى قد يكون حقيقيا، لكن الشاعر يريد معنى أخر يكني عنه لفظا، لذلك نلاحظ أن الكناية من الصور التركيبية التي اجتاحت القصيدة، لأنها أبلغ في توصيل المعنى إلى المتلقي، وذلك في قوله:

" انحل عقد السحاب" كناية عن الاستقلال .كناية عن زوال الاستعمار.

"وذاب الجناح الحديد": كناية عن انتهاء العهد الاستعماري.

"عيون تحدق تحت الثرى": كناية عن الشهداء الذين ماتوا وتركوا الوطن أمانة.

"أرض القبور": كناية عن كثرة عدد الضحايا والشهداء.

"بعد انطفاء اللهيب": كناية عن نهاية الحرب.

"مفتحة الباب": كناية عن انتظار الأسر عودة المجاهدين إلى منازلهم .

"وما تحمل الريح إلا نباح الكلاب البعيد": كناية عن استحالة رجوع المفقودين .

"عاد اليتامى يتامى": كناية عن تجدد المأساة لأبناء الشهداء الذين تيتموا أثناء الحرب بالتحاق آبائهم بالثورة ثم تيتموا فعليا باستشهاد آبائهم .

فالكناية تزيد من مرونة الكلام وجماله، وهي من الناحية الأسلوبية تمثل العدول عن أصل الكلام وحقيقته، فهي تساهم في تجسيم الحزن والألم والتضحيات وتفخيم هذه المعاني في نفوس السامعين بوضعها في صورة محسوسة تثير الانفعال والقبول، كما نقلت الألفاظ من صورتها المجردة إلى ما هو أجمل في القول وآنس للنفس.

3.4 الاستعارة: الاستعارة "تركيب يذكر فيه أحد الطرفين، ويحذف احدهما، مع الإشارة إليه بذكر أحد لوازمه" [7]، وعرفها الجاحظ في البيان والتبيين: "الاستعارة هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[8].

وردت الاستعارة في السطر الثالث " أتى الغيث" استعارة مكنية حذف فيها المشبه به الذي هو الانسان وأبقى على شيء من خصائصه المجيء، والقرينة الدالة هي الفعل "أتى" والجامع بين المذكور والمحذوف هي الحركة

كما وردت في السطر الرابع: "فروى ثرى جائعا للبذور" حيث شبه الثرى بالإنسان الجائع فحذف المشبه به الذي هو الكائن الحي وأبقى على شيء من خصائصه وهي الجوع على سبيل الاستعارة المكنية،

وفي السطر الواحد والعشرين: "وفي جانب كل درب حزين" استعارة مكنية شبه فيها الدرب بالإنسان فحذف المشبه به وأبقى على شيء من خصائصه وهو الحزن،

في السطر الثامن والأربعين: "فاستفاق بك الحزن" استعارة مكنية حذف المشبه به وهو الانسان وأبقى على شيء من خصائصه وهو الاستفاقة.

من الملاحظ أن الشاعر قد أسهب في توظيف الاستعارة المكنية دون التصريحية كونها الأبلغ في التعبير عن مقصد الشاعر، ففي هذه الصور انزياح بلاغي أسلوبي عن النسق التعبيري المألوف بخلق عوالم جديدة تربط بين ما هو مادي وما هو معنوي محسوس.

4.4. المحسنات البديعية:

1.4.4 المطابقة: وهو عنصر لا بد منه داخل النص الأدبي، وهو "الجمع بين الشيء وضده في الكلام، والضدين قد يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين"[9].

"طباق المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظتين نثرا كان أو شعرا، وهو نوعان: طباق السلب والإيجاب"[10].

لقد ورد الطباق في السطر الثامن من القصيدة: (صبحك-ليلا) وهو طباق الإيجاب.

السطر الخمسين: ورد طباق الايجاب (عاد-فراق) فالعودة والفراق معنيان متعارضان ولكنهما يأتلفان في هذا السطر الشعري .

السطر الحادي عشر ورد طباق الإيجاب (هدأة-هتاف) فالهدوء والهتاف معنيان متقابلان.

إن الطباق من أهم المحسنات البديعية وأروعها، حيث يرسم الشاعر لوحة فنية جميلة إذ يجمع بين لفظتين ويبين الفرق بينهما في آن واحد، أي أن الجمع بين المتضادين في الكلام يعد من جماليات الأسلوب.

نلاحظ أن الشاعر قد استعمل طباق الإيجاب، وهذا ما يدل على مدى براعة الشاعر وقدرته على الجمع بين المتضادات، فقد أدى الطباق دورا معنويا وساهم في تقوية المعنى من باب أن الأشياء تبدو وتتضح بأضدادها بالإضافة إلى إحداث تناغم بين الألفاظ في تفاعل بين الصوت والدلالة.

5.4. الأساليب وصدى المعنى:

الأسلوب هو القالب الذي تنسج فيه التراكيب، ومن خلاله يفهم القارئ غرض الشاعر إذ هو "مجموعة الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي" [11]، فيأتي الأسلوب تبعا لأحاسيس الشاعر، واللغة أداة التبليغ، ولكل شاعر أسلوبه الخاص للبوح بما يختلج به صدره.

1.5.4 الجملة الخبرية:

عمد الشاعر إلى الاعتماد على الخبر بكونه " قولا يحتمل الصدق والكذب، ويتضمن عاطفة ويهدف إلى إفادة المخاطب مضمونه من صدق أو كذب، فإذا تطابق الخبر مع الواقع كان صادقا وإذا خالف كان الخبر كاذبا" [12]، فالخبر، ومن خلال هذه المقولة، إما كلام صادق أو كاذب، ومن الجمل الخبرية الكثيرة في هذه القصيدة نذكر :

-أتى الغيث وانحل عقد السحاب،

-فروى ثرى جائعا للبذور،

-وذاب الجناح الحديد،

-وتبحث عن ظامئات الجذور،...الخ.

إن توظيف الشاعر للأسلوب الخبري في هذه القصيدة أعطاه مساحة فنية واسعة للإفصاح عما يختلج في صدره من كوامن نفسية ووجدان، فعجّل به في أول القصيدة حتى يتحرر من كل قيد ويعطي الجمل إيحاءات جديدة ويبعدها عن الرتابة المملة، وتلك هي الفائدة، والأسلوب الخبري ليس بمجرد خبر يلقى إلى المتلقي بل يعج بمعان كثيرة، فمنها ما يحمل الفرح ومنها ما يحمل الألم والحزن.

2.5.4 الجملة الإنشائية:

الإنشاء من الادوات الفنية التي يعتد الشاعر بها حين يعبر عن حالات نفسية مختلفة لأنها " قول لا يحتمل الصدق والكذب، بل يتضمن عاطفة وينشئ به قائله أمرا أو نهيا أو استفهاما أو نداء أو تعجب لغرض بلاغي يفهم من السياق". [13]

فالأسلوب الإنشائي يختلف اختلافا جذريا عن الخبري فهو لا يعتمد على الصواب والخطأ وإنما يهدف إلى إنشاء أغراض بلاغية، ويقسم علماء البلاغة الأساليب الانشائية إلى طلبية وغير طلبية، فالطلبية هي ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون ذلك بخمسة أشياء: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وأما غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم والقسم والرجاء وكم الخبرية"[14].

وقد وردت في القصيدة بعض الأساليب الانشائية نوضحها في الجدول الآتي:

الجدول رقم2: اهم الأساليب الانشائية الواردة في القصيدة:

الأسلوب –الأمثلة–	السطر	نوعه	أداته	غرضه
بماذا ستستقبلين الربيع؟	17	استفهام غير حقيقي	ماذا	الاستنكار والتحسر
لو تستطيع الكلام	24	إنشائي	لو	التمني
لعل المجاهد بعد انطفاء اللهيب وبعد النوى والعناء	30	إنشائي	لعل	الترجي
وماذا حملت لنا من هدية؟"	34	استفهام غير حقيقي	ماذا	السخرية والتقريع

فالاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأحد أدوات الاستفهام: الهمزة وهل وأيان وكيف وأين وأنى وكم وماذا وأي ، وهو أسلوب يثير في النفس حركة، ويدعو المخاطب إلى أن يشارك السائل فيما يحس ويشعر "[15]، وهو من أساليب الانشاء الطلبية التي يستعين بها الشاعر لتكون الدافع إلى التأثير في نفس المتلقي وإشراكه في العملية الشعرية من جهة وللتعبير عن معاناة الشاعر النفسية والشعورية من جهة أخرى.

والاستفهام في البنى الأسلوبية ليس مجرد طلب ما لم يكن معلوما بل هو انزياح عن الأصل الذي وضع له تحقيقا لدلالات جديدة، ذلك لأن الشعر ليس بالفن التقريري المباشر والسطحي بل هو فن ذو لغة متفردة تتمتع بالمخالفة والخروج عن السائد ومن هنا ينبع تأثيره وتميزه، وهو بذلك من الصور الإيحائية التي تزيد المعنى دلالة وعمقا، ويتقبلها المتلقي بشغف ولهفة، وعلى الرغم من قلتها إلا أن موضعها جاء ليزيد من ترابط وتماسك أحداث ومقاطع القصيدة.

وكذلك ما يلفت انتباهنا بشأن أسلوب الاستفهام في قصيدة ربيع الجزائر هو استخدام الشاعر لأداة استفهام واحدة فقط هي "ماذا".

يوظف الشاعر الأسلوب الاستفهامي في قوله: "**بماذا ستستقبلين الربيع؟**" في بداية المقطع الثاني من القصيدة و"**وماذا حملت لنا من هدية؟**" في وسط المقطع الثالث توظيفًا بلاغيًا يجاوز حدود الاستفسار الحقيقي إلى أبعاد فنية تكشف مأساة الوطن في زمن الحرب. فالاستفهام الأول إنشائي طلبي غرضه **الاستنكار والتحسّر**، إذ يطرح سؤالًا يكشف من خلاله الشاعر المفارقة المؤلمة بين **رمزية الربيع المرتبطة بالحياة والتجدّد** وبين واقع البلاد التي أنهكتها المجازر، فلم يبق فيها ما يصلح أن يكون احتفاءً بالربيع سوى **بقايا العظام ولون الدم النازف** .ويأتي الاستفهام الثاني ليكمل هذه الرؤية المأساوية، حيث يتحوّل إلى **تقريع ساخر**؛ فالشاعر لا ينتظر هدية فعلية من الربيع، بل يشير بسؤالٍ تهكّمي إلى أنّ ما يحمله ربيع الوطن ليس غير **جراح الشهداء ودموع الثكالى وأبواب البيوت المفتوحة على الانتظار والخيبة** .وهكذا يغدو الربيع نفسه شاهدًا على استمرار الفاجعة، بعد أن فقد دلالاته الجمالية وبات يحمل وجهًا آخر للظلم والألم. ومن خلال هذا التوظيف الذكي للاستفهام، يعمّق الشاعر الإحساس بالانكسار، ويبرهن على أنّ **العناصر الطبيعية التي ترمز للحياة** قد أضحت في وطنٍ مبتلى بالحرب **رمزًا لموتٍ**

مؤجل، فيظلّ السؤال أداةً لتصعيد التوتر الدرامي وتجسيد الصراع بين **حلم التحرّر وواقع الخراب**، مما يمنح النص شحنة انفعالية قوية ويقرّب القارئ من لهيب التجربة الشعورية.

ومن هنا فإننا نلاحظ أن هذا الأسلوب البسيط للاستفهام قد أكسب القصيدة جوا من الحيوية لأن من عادة الانسان بعد السؤال أو الاستفهام هو التطلع والبحث عن الإجابة المقنعة والمفحمة بالبرهان والدليل، هذا فضلا عن دور أسلوب الاستفهام المكرر في إضفاء نوع من الترابط في بناء القصيدة والتلاحم في نسيجها على نحو يسهل على المتلقي استقبال المعنى.

5.الخاتمة

– تعتبر قصيدة ربيع الجزائر علامة فارقة إبداعيا وتاريخيا، حيث نظمها الشاعر وهو طريح فراش المرض معبرا بها عن فرحته باستقلال الجزائر، وقد فارق الحياة بعد سنتين من ذلك.

– تعتبر الرسالة الأولى التي تربط بين الكاتب والقارئ هي العنوان "ربيع الجزائر"، إذ يشكل عنوان القصيدة العتبة الأولى التي يقف عندها القارئ باحثا عن منافذ يمكنه أن يلج من خلالها إلى عوالمها الخفية، وقد حمل المركب الاسمي "ربيع الجزائر" دلالات ظاهرة وأخرى باطنة، فالربيع الذي هو رمز للإشراق والإقبال على الحياة لن يعثر عليه القارئ بمجرد تخطي عتبة القصيدة والولوج إلى مضمونها وهذا هو الأهم إنه إنزياح أسلوبي خطير يضرب بسقف توقعات القارئ فيحطم أفق الانتظار لديه، فبعد أن كان يتوقع أن يلمح الربيع بكل مظاهره المبهجة في القصيدة لم يجد غير اللظى والخراب، وهذا هو منتهى التفرد والجمال الأسلوبي عند السياب

– أما على المستوى الدلالي فإن أهم السمات الأسلوبية التي ارتكز عليها التحليل قامت على مبدأ التضاد بين الصور والمعاني والأفكار بغية تحقيق غايات جمالية وبلاغية، وقد بنى الشاعر قصيدته على بنيتين متضادتين تنتمي كل منهما إلى حقل دلالي يعارض الثاني ويحاول فرض وجوده، إلا أن الغلبة كانت لألفاظ حقل الحزن على حساب حقل ألفاظ الفرح.

– أما على المستوى البلاغي، فقد كان الانزياح التصويري أهم السمات الأسلوبية التي طفت على سطح القصيدة، فقد جاءت القصيدة حافلة بالصور الشعرية ومن أبرزها الاستعارة والكناية باعتبارهما من الفنون العظيمة التأثير والتي تمنح التعبير جمالا ويعطيان المعنى قوة ورسوخا، كما نجد من المحسنات البديعية المعنوية الطباق الذي أسهم بدوره في بلاغة وجمال الأسلوب.

6. قائمة المصادر والمراجع:

أبو الحسن ضياء الدين ابن الأثير، 1959، المثل السائر، تح: أحمد الجويفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط1.

أبو العدوس يوسف، (2007)، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، (1998)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ج1.

جون لاينز، (1995) علم الدلالة، تر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية.

الجيار شريف سعد، (2008)، شعر إبراهيم ناجي دراسة أسلوبية بنائية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، دط.

ستيفن أولمان، (1975)، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، دار غريب، مصر، ط1.

السيد فودا عبد العليم، (1952)، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، مؤسسة دار الشعب، مصر، القاهرة.

الشيخ حمدي، (2003)، الوافي في تيسير البلاغة (البديع والبيان، المعاني)، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، ط3.

عوض حيدر، (1999)، علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

الغلايني مصطفى، (2017)، جامع الدروس العربية، دار التقوى للنشر والطبع والتوزيع، مصر.

لوشن نور الهدى، (2008)، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الشارقة.

المسدي عبد السلام، 1982، الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في النقد العربي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3.

الهاشمي أحمد، (2000)، جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط2.

7.الهوامش والإحالات:

[1] الجيار شريف سعد، شعر إبراهيم ناجي دراسة أسلوبية بنائية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، دط، 2008م، ص183.

[2] عوض حيدر، علم الدراسة دراسة نظرية وتطبيقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1999م، ص80.

[3] ينظر، ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب، مصر، ط1، ص119-120.

[4]جون لاينز، *علم الدلالة*، تر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995. ص، 265،285..

[5]عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في النقد العربي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 3، 1982، ص82.

[6]ابن الأثير، المثل السائر، تح: أحمد الجويفي وبدوي صبانة، دار نهضة مصر، ط1959،1، ص182.

[7]السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط2، 2000م، ص230.

[8]الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص153.

[9]مصطفى الغلايني، جامع الدروس العربية، دار التقوى للنشر والطبع والتوزيع، مصر، 2017م، ص583.

[10] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص276.

[11]عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص90.

[12]حمدي الشيخ، الوافي في تيسير البلاغة (البديع والبيان، المعاني)، المكتب الجامعي الحديث، ط3، 2003م، ص86.

[13] المرجع نفسه، ص13.

[14] ينظر، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط2، 2000م، ص96.

[15]ينظر، عبد العليم السيد فودا، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، مؤسسة دار الشعب، مصر، القاهرة، ص296.